



(1)

ما من دولة، أو جهة مدت لها طهران يد العون و المساعدة إلاً وكانت تحمل لها في يدها الأخرى مخططاً لبناء (حسينية) على أراضيها. و الشواهد على ذلك أكثر من الحصر والعدّ، و دونكم مثلاً على ذلك ما كان في غزة التي لا تшوبها شائبة طائفية إطلاقاً.

وبالطبع فإن سوريا تأتي في صدارة اهتماماتها؛ لجملة من الأمور، منها ما هو جيوسياسي، ومنها ما هو ديني، و منها ما هو اقتصادي.

لقد أصبحت سوريا محافظة فارسية بامتياز، وأصبحت إيران تتدخل في تفاصيل الأمور، وقد أظهرت الرسائل المسربة في موقع (ويكيلكس) مدى ذلك، حتى وصلت الحال إلى التدخل في التعينات الحكومية. ولهذا فإنَّ تيرة التصريحات في طهران تعلو كلُّما ضاق الخناق على رقبة الأسد، حتى باتت توصف بالوقاحة، وبعد عن اللياقة الدبلوماسية؛ لا بل بات هؤلاء يشعرونك أنهم يشغلون مناصب رسمية في دمشق، و ليس في طهران؛ خوفاً منهم على انهيار حُلمهم في تصدير ثورتهم المزعومة.

و حتى نقف على حجم هذا التدخل، و نوعية المخطط الذي كانوا يسعون نحو تحقيقه؛ قمنا بالاطلاع على الدراسة المعروفة بـ "دور الشيعة في سوريا" للباحث الفلسطيني خالد سنداوي (*). فاستخلصنا منها جملة من المعلومات التي قاطعنها بما كان قد توفر لدينا من معلومات أخرى، تنسى لنا جمعها قبل حين

من الزمن، عندما باشرنا في تتبع أمر التدخل الإيراني في سوريا، ونشرنا عن ذلك مقالاً بعنوان (منْ أجل ذلك تسعى طهران للبقاء على الأسد).

وأنذا أضع بين يدي السوريين هذه المعلومات التي خلصت إليها؛ ليعرفوا المدى الذي وصل إليه حجم التدخل الإيراني في بلدتهم سوريا، ويتأكدو من أن القرار الوطني قد غدا بيد طهران جملة، وتفصيلاً.

وهو الأمر الذي صرخ به كبار المرجعيات الشيعية، جاعلين من سوريا المحافظة الإيرانية (35)، والدفاع عنها مُقدّم على الدفاع عن إقليم عربستان (العربي، المحتل).

أهمية الشيعة لنظام الأسد:

ظهر اعتماد النظام على المراكز الشيعية (المتأولة) إبان الثورة الشعبية؛ على الرغم من أنها بقع جغرافية صغيرة تسبح في بحر سني، كـ "الفوعة" وـ "كفرريا" الشيعيتين في إدلب، وـ "نبل" والزهراء" في حلب، وـ "حي الأمين"، وـ "زين العابدين" في دمشق. إن سقوط "نبل" أو "الفوعة" لا يقل فداحة عند نظام الأسد عن سقوط القرداحة نفسها!

بعيد اندلاع الثورة السورية، وبعد طول تستر وتحف، مزق الشيعة في سوريا معظم حجب "التقية"، وانطلقوا من وراء الكواليس، ليمارسوا دورهم مباشرة على مسرح الأحداث، فتوارت روايات نشطاء وأهالي حمص عن مدى الأذى الذي ألحقه شيعة الريف بسنة المحافظة، مما يهون أمامه أذى عتاة النصيرييين.

عوامل ساعدت على التشيع في سوريا:

1. وجود شيعة سوريين.
2. قوة الإعلام الشيعي.
3. ما سماه حزب الله "انتصاراً إلهياً" في حرب لبنان عام 2006م.
4. الإغراءات الاقتصادية والعلمية المقدمة من إيران.
5. هيمنة الطائفة العلوية على مقاليد السلطة منذ عام 1970م بشكل رسمي.
6. تشجيع النظام في سوريا نشاط التشيع الإيراني. وذكر هنا بما ورد في وثائق سرية من "ويكيليكس" وهي البرقية السرية المؤرخة في 20 شباط/فبراير 2007م، المعروفة بـ "كتارو يفتح حسون وتواطؤه مع بشار لإسكات السنة، ومنع انتقاد التشيع الإيراني".

التشيع في عهد حافظ:

لقد مكّن الأسد (الأب) للإيرانيين في سوريا بشكل جعل الناس تخشى الحديث عمّا يقومون به، وما يزالون يتذكرون في عهده ثلاثة أمور يُجرّم الخائن فيها، ويرى فيها السوريون تناقضًا مع مبادئ البعث القومية:

1. العلاقة مع إيران.

2. الموقف من الحرب العراقية الإيرانية.

3. طريقة التعاطي مع الملف اللبناني.

يمكن ردّ بدايات التشيع في سوريا إلى زيارة موسى الصدر لها في عام 1974م، التي جمعته بـ "شيخ" الطائفة العلوية في جبال اللاذقية، وكان قد سبقه "آية الله حسن مهدي الشيرازي"، الذي أصدر فتواه الشهيرة في (11/ ذي القعدة الحرام/1392هـ) بأنّ أهل تلك المنطقة ينتمون إلى الشيعة الاثني عشرية.

إن أول وأبرز عالم شيعي في التاريخ الحديث عمل على نشر التشيع في سوريا كان عبد الرحمن الخير (ولد 1925). في أثناء الصدام بين حافظ الأسد والإخوان المسلمين عمل على أن يقوم شقيقه جميل بتأسيس جمعية "المرتضى"، وافتتاح

فروع لها في المحافظات السورية كلها؛

أملاً في إظهار أن العلوبيين ينتمون إلى دائرة الأوسع من الشيعة، وليسوا أقلية. بدأ جميل الأسد بتشجيع التشيع في الساحل السوري، ولاسيما بين النصيرييـن، فابتعدت مجموعات منهم إلى إيران لدراسة المذهب الإثني عشري، وبعد عودتهم إلى سوريا نشروا العقيدة الشيعية بين زملائهم وإخوانهم من النصيريـن.

بني جميل الأسد الحسينيات في جبال الساحل، في الوقت الذي لم يكن هناك سوى الأضরحة، ومن أجل جعل التشيع أكثر قبولاً لدى الناس في المنطقة، عين إماماً شيعياً في مسجد الزهراء العلوـي في مدينة بانياس الساحلية.

طلب حافظ الأسد من العالم الشيعي اللبناني "محمد حسين فضل الله" العمل في سوريا؛ فافتتح له مكتباً له في حي السيدـة زينب قرب دمشق، وأصبح يُقدم فيه الخدمات المجانية للسوريـين من أجل استمالتهم نحو التشيع، وكان يجلس في يوم محدد أسبوعياً؛ لاستقبال السوريـين وسماع شكاوـهم من حاجة للتوظيف أو الدراسة أو غيرها، ومحاـولة حلـها، وكأنـه محافظ دمشق! أو مسؤول رسمي مكلف بالتواصل مع الناس، وكل ذلك تحت سمع أجهزة النظام وبصرـها، بل ويشجـع منها، إذ طالـما عـرف أن النـشاط الدينـي هو أخطر أنـواع الأنشـطة في عـرف النـظام الأـسدي، وأنـه يولـيه اهـتماماً خاصـاً جـداً، ويـضع كل المشـتغلـين والمـهتمـين به تحت المـجـهر على الدـوـام.

الملاحظ أنه في عـهد بشـار تـضاءـل هذا الدـور المـمنـوح له لصالـح السـفارـة الإـيرـانـية، وملـحـقيـتها الثقـافية.

(2)

التشـيـع في عـهد بشـار:

لقد ازداد الأمر فدـاحـة في عـهد (الابن) (يـذكر للأـب أنه كان يـوازن عـلاقـته مع إـیرـان بـعـلاقـته مع الدـولـ الـعـربـيـة، والـخـليـجـ منـهـا عـلـى وجـهـ الـخـصـوصـ).

لقد شـرـع بشـار لـهـ الأـبـوابـ؛ فـمـدـ الإـیرـانـيـونـ أـذـرـعـهـمـ فيـ أـكـثـرـ مـنـ صـعـيدـ، وـكـانـ أـخـطـرـهـاـ عـلـىـ الصـعـيدـ المـذـهـبـيـ، لـقـدـ غـضـنـ الـطـرـفـ عـنـهـمـ؛ لـاـ بـلـ قـدـمـ لـهـ الـمـسـاـعـدـةـ فـيـ نـجـاحـهـ لـتـبـشـيرـ بالـمـذـهـبـ فـيـ أـوـسـاطـ السـوـرـيـيـنـ بـشـكـلـ أـثـارـ الـدـهـشـةـ وـالـاسـتـغـرـابـ، مـسـتـغـلـيـنـ فـيـ ذـلـكـ مـشـاعـرـ التـعـاطـفـ مـعـ آـلـ الـبـيـتـ عـنـهـمـ، فـضـلـاـ عـلـىـ الـحـالـةـ الـمـادـيـةـ الـضـيـقةـ لـدـىـ شـرـائـحـهـمـ فـيـ الـمـنـاطـقـ الـفـقـيرـةـ.

وـلـاـ يـغـيـبـ عـنـ الـبـالـ ماـ كـانـ مـنـهـ مـعـ شـرـيـحةـ السـائـقـيـنـ، وـمـتـدـنـيـ التـعـلـيمـ الـذـيـنـ كـانـواـ يـشـجـعـونـهـمـ لـلـسـفـرـ إـلـىـ طـهـرانـ، وـيـقـدـمـونـ لـهـ إـغـرـاءـاتـ، وـالـمـتـنـعـ قـبـلـ، وـبـعـدـ وـصـولـهـمـ إـلـىـ طـهـرانـ.

هـنـاكـ مـنـ اـتـهـامـاتـ لـهـ فـيـ أـعـقـابـ خـطـبـةـ لـهـ أـلـقاـهـاـ فـيـ 2008ـ بـمـنـاسـبـةـ "يـومـ عـاشـورـاءـ"، وـفـيـ تـلـفـظـ "حسـونـ"

وـقـدـ تـعـزـزـتـ هـذـاـ الـاتـهـامـاتـ لـهـ فـيـ أـعـقـابـ خـطـبـةـ لـهـ أـلـقاـهـاـ فـيـ 2008ـ بـمـنـاسـبـةـ "يـومـ عـاشـورـاءـ"، وـفـيـ تـلـفـظـ "حسـونـ" بـالـعـدـيدـ مـنـ الـعـبـارـاتـ الـمـتـعـاطـفـةـ مـعـ عـقـيـدةـ الشـيـعـةـ، وـذـهـبـ إـلـىـ اـتـهـامـ كـلـ الـخـلـافـ الـمـسـلـمـيـنـ مـنـ مـعاـوـيـةـ فـصـاعـدـاـ بـالـكـفـرـ، مـشـيرـاـ إـلـىـ أـنـ عـلـيـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ كـانـ حـجـةـ اللـهـ عـلـىـ خـلـقـهـ، وـأـنـ وـجـودـ عـتـرـةـ النـبـيـ "صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ" كـفـيلـ بـتـشـرـ العـدـالـةـ وـالـسـلـامـ فـيـ الـعـالـمـ.

وـعـلـىـ صـعـيدـ الـإـلـعـامـ حدـثـ الـكـثـيرـ مـنـ التـغـيـيرـاتـ فـيـ الـإـلـعـامـ الرـسـميـ، وـانـعـكـسـ ذـلـكـ عـلـىـ بـرـامـجـ الـقـنـواتـ الـتـلـفـزيـونـيـةـ الـمـحلـيـةـ وـالـفـضـائيـةـ وـمـطـحـاتـ الـإـذـاعـةـ الـمـتـاحـةـ فـيـ سـوـرـيـةـ، حـيـثـ كـانـ الـتـلـفـزيـونـ السـوـرـيـ الرـسـميـ يـقـدـمـ أـسـبـوعـيـاـ (عـلـىـ الـأـقـلـ) بـرـامـجـاـ لـمـدـةـ سـاعـةـ لـلـوـاعـظـ الشـيـعـيـ عـبـدـ الـحـمـيدـ الـمـهـاجـرـ، كـمـ يـبـثـ بـرـامـجـاـ مشـابـهـاـ لـلـعـراـقـيـ عـبـدـ الـزـهـراءـ، وـلـاـسـيـماـ فـيـ شـهـرـ رـمـضـانـ، حـيـثـ يـتـلـوـ بـعـضـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ، وـيـلـيـ ذـلـكـ أـنـاـشـيـدـ فـيـ مـدـيـحـ أـهـلـ الـبـيـتـ.

كـمـ شـجـعـ نـظـامـ بـشـارـ عـلـىـ ظـهـورـ شـيـوخـ موـالـيـنـ لـإـیرـانـ فـيـ وـسـائـلـ الـإـلـعـامـ عـلـىـ حـسـابـ رـجـالـ الـدـينـ السـنـةـ، بـيـنـماـ اـسـتـخـدـمـ رـجـالـ

الدين الشيعة وسائل الإعلام السورية الرسمية لنشر أفكار ذات محتوى جدلي يثير الخلاف بين السنة والشيعة، (مثل موقفهم تجاه صحابة النبي صلى الله عليه وسلم). وقد أدت المواقف التي اتخذها رجال الشيعة لردود فعل حادة جداً، ولاسيما في دمشق، ثم في مناطق أخرى مثل حلب وضواحيها.

تشير تقارير إلى أنه في سنة 2007م كان هناك أكثر من 500 حسينية قيد الإنشاء في سوريا. وبموازاة كل ما سبق، فإن نظام بشار منح الجنسية لآلاف الشيعة الإيرانيين، والعراقيين الموالين لإيران، ووفقاً لبعض المصادر، فقد منحت الجنسية السورية لـ 20 ألف إيراني. يأتي هذا في الوقت الذي رفض منها لأكراد سوريا، على الرغم من مرور 40 عاماً على مطالبتهم بها.

تغلغل إيران، و الشيعة في سوريا، و إغراءاتهم للمتشيعين:

لقد بلغ التغلغل الإيراني، و الشيعي في أوساط الدولة والمجتمع بسوريا حدّاً جعل كبار المسؤولين السوريين والإيرانيين يحضرون معًا الاحتفالات التي تنظمها السفارة الإيرانية في دمشق، مثل الأعياد الوطنية الإيرانية، والذكرى السنوية للثورة الإيرانية، والأعياد الدينية، مثل يوم استشهاد الحسين في عاشوراء. وأصبح رؤساء القبائل وكذلك عدد من الأعيان و لاسيما في منطقة الجزيرة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، يتلقون دعوات من قبل السفير الإيراني لزيارة إيران مجاناً، كما تشمل الدعوات أساتذة الشريعة السنة في المعاهد وكليات الشريعة. وقد ذهب هؤلاء، وعادوا محملين بالهدايا، وجوبيهم تقىض بالمال، على غرار ما كان يقدم لنظرائهم من رؤساء القبائل والعشائر العراقية.

لقد كان شيوخ الشيعة: السوريون، والإيرانيون يقدمون المال للناس، أو يعرضون عليهم مساعدتهم في المعاملات التجارية، و الرسمية.

و يذكر في هذا الباب الخدمات التي كان يقدمها مكتب "محمد حسين فضل الله" في السيدة زينب، و هو ما سبق الحديث عنه.

وهناك نوع آخر من الإغراءات يتمثل في تزويع المستهدفين بالتشيع، أو تزويدهم بالمواد الأساسية مثل الزيت والسكر والأرز والسمن.

لقد غدت الإغراءات المالية تؤدي دوراً ملحوظاً في ترويج التشيع، فالفقراء على سبيل المثال يتم إعطاؤهم القروض باسم التضامن الإسلامي، وفي نهاية المطاف يقال لهم إنه لا داعي لإعادتها، وعلى نحو مشابه يتم توفير الرعاية الطبية المجانية في المستشفيات "الخيرية" الإيرانية في سوريا، مثل مستشفى الإمام الخميني في ضواحي دمشق.

سياسة إفقار الناس لجرّهم نحو التشيع:

إن سياسة النظام الهدافـة إلى تدمير قطاعي الزراعة وتربية المواشي في المناطق الشرقية والشمالية من سوريا، كانت تسير -وبشكل مثير للشكـ جنبـاً إلى جنب مع ازدياد التشيع، فكلما زاد تدمير هذين القطاعين وزاد فقر الملايين ممن يعتمدون عليهما في معيشتهم؛ زاد دعاة التشيع من تحركـهم في أوساط الفقراء، تحت غطاء المساعدة ومـد يـد العـون!.. وهو ما يوحـي بأنـ النظامـ الطائـفيـ كانـ "يمـهـدـ"ـ للمـشـيعـينـ الأرضـ حتىـ يـمارـسـواـ عـلـمـهـ بـكـلـ أـرـيـحـيـةـ،ـ تـمـاماـ كـمـاـ "تمـهـدـ"ـ مـدـفعـيـتـهـ وـطـيـرـانـهـ الأرضـ لمـلـيشـيـاتـ الشـيـعـةـ حتـىـ يـقـتـحـمـواـ الـبـلـدـاتـ وـالـمـدـنـ وـالـأـحـيـاءـ السـنـيـةـ وـيـعـيـثـواـ فـيـهاـ دـمـارـاـ!!ـ

التعليم وسيلة مهمة للتـشـيع:

لقد كان التعليم أداة أخرى تستخدمن من قبل نظام الأسد لترويج التشيع وتقوية العلاقات مع إيران؛ و كان معتمد إيران في هذه المرحلة (اللواء هشام بختيار)؛ الذي وضع الخارطة السورية بين أيديهم، وأعطائهم حرية التصرف في قراها، و بلداتها، و سمح لهم بافتتاح عشرة مدارس ثانوية شيعية، وإنشاء جامعتين شيعيتين خالصتين:

- الأولى: في منطقة الفوعة في ريف إدلب.

- الثانية: في اللاذقية، حيث حصلت طهران على ترخيص من نظام **بشار** لتأسيس (جامعة العلوم والتكنولوجيا)، التي تتضمن عدداً من الكليات، وستقدم منحاً دراسية مجانية للدراسة في "قم" و"طهران"، ولاسيما لطلاب الدراسات العليا من ينتمي اختيارهم بعنابة، وتحتاج هذه المؤسسات معاملة تفضيلية للطلاب الذين يؤيدون النظام، حيث يتم إعطاء طلاب هذه المؤسسات فرص عمل لا يحظى بها غيرهم.

وكانت هناك مساعٍ لبناء مجمع ضخم، ستكون فيه جامعة ثلاثة، في المنطقة التي تضم رفات الصحابي الجليل عمر بن ياسر في الرقة.

ويبدو أنه قد استعيض عنها بالكلية الشيعية التي افتتحت في مدينة الطيبة/ محافظة الرقة، في عام 2007م، و التحق فيها أكثر من 200 طالب.

لم يجد الشيعة أية صعوبة في الحصول على ترخيص لافتتاح هذه الكليات، على الرغم من أنه لم يكن يوجد في سوريا بأكملها سوى كليتين للشريعة (وفق المذهب السنوي)، واحدة في دمشق والأخرى في حلب، وقد كان على حلب الانتظار عدة عقود للحصول على إذن بافتتاح كلية للشريعة فيها، لم يأت إلا في عام 2006م.

وفي الموضوع نفسه سمح النظام للطلاب بالدراسة في "الجامعة العلمية بالسيدة زينب"، حيث لا يدفعون رسوماً دراسية، لا بل إنهم يحصلون على راتب شهري.

الإنبهار بشخصية حسن نصر الله سببُ التشيع:

إنّ حرب الأيام 33 بين إسرائيل ولبنان في صيف عام 2006، أثارت موجة من الإعجاب بين السوريين بشخصية زعيم حزب الله حسن نصر الله، بسبب "مقاومتهم" لإسرائيل؛ ونتيجة ذلك أصبح ينظر إلى التشيع بصورة أكثر إيجابية، وتصاعد وبالتالي عدد المتشيعين من السوريين.

يقول مصطفى السادة: أحد دعاة التشيع السوريين، الذي لديه اتصالات عديدة مع السنة: إنه يعرف 75 شخصاً سنّياً في دمشق اعتقدوا المذهب الشيعي منذ بداية حرب تموز 2006م، وإن الحرب أعطت زخماً إضافياً لميل السوريين المتزايد في السنوات الأخيرة نحو التشيع.

ومنذ تلك الحرب، أصبحت صور حسن نصر الله، و خامنئي الأكثر حضوراً في سوريا من بين الشخصيات الأخرى، وسيشاهد أي شخص يمشي في شوارع دمشق حينها صوراً لبشار الأسد، وإلى جانبها صور زعيم مليشيا حزب الله، حيث يتم عرض هذه الصور على واجهات المتاجر والسيارات الخاصة والحافلات والجدران.

(3)

النِّسب المئوية للشيعة، والمُتَشَيِّعِين:

أشار تقرير الحريات الدينية الدولية لعام 2006م، الذي تنشره وزارة الخارجية الأميركيّة، إلى أنّ الأقلّيات: العلوية، والإسماعيلية، والشيعية، والدروز يشكّلون (13%) من سكان سوريا، أي حوالي (مليونين، ومائتي ألف) شخص من مجموع السكان البالغ عددهم (18) مليون نسمة.

وأنَّ نسبة الشيعة وحدهم لا تتجاوزون (1%) من السكان، في حين كانت نسبتهم في سنة 1953م، لا تزيد على (04%)، وهو يعيشون في معظم المحافظات السورية، لكن تركزهم الأكبر في طرطوس، وهي المحافظة التي تضم (44%) من شيعة سورية.

نشر مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية في القاهرة، تقريرًا آخر بعنوان "الطوائف الدينية والمذاهب والمجموعات العرقية"، في سنة 2005م، يقول فيه: إن الشيعة يشكلون (1%) من سكان سوريا، بينما يشكل العلويون ما بين (8 و 9%).

في دراسة ميدانية ممولة من الاتحاد الأوروبي تم إجراؤها خلال الأشهر الستة الأولى من عام 2006م، عن المشهد الديني في سوريا، ذُكر أن نسبة المُتشيعين من النصيرييin، على النحو الآتي: في طرطوس (44%)، واللاذقية (26%)، و حمص (14%)، و حماة ودمشق (16%).

وأنَّ نسبة المُتشيعين من السنة على النحو الآتي: في حلب (46%)، و دمشق (23%)، و حمص (22%)، و حماة (5%)، وإدلب (4%).

المثير للاستغراب أن تشير الدراسة الأوروبية الميدانية إلى أن معدلات التشيع في محافظات: القنيطرة، و دير الزور، والرقة، هي معدلات ضئيلة إلى درجة لا تستحق الذكر، وهذا خلاف لما أشيع قبل سنوات عن توسيع نشاط التشيع في محافظتي: دير الزور، والرقة على وجه الخصوص.

وبحسب هذه الدراسة، فإن نسبة المُتشيعين بين الإسماعيليين، على النحو الآتي: في حماة (51%)، و طرطوس (43%)، و حلب (3%)، و دمشق (2%)، و إدلب (1%).

إن إجمالي نسبة المُتشيعين في عموم سوريا لا تخطى (2%)، وهي نسبة ضئيلة جدًا وغير مستهجنة، ولاسيما إذا علمنا أن نحو (7%) من السنة الذين تشيعوا في دمشق، ينتمون إلى أسر شيعية الأصل سيأتي الحديث عنهم لاحقًا. وكذلك الحال في حلب فنسبة (88%) من مُتشيعي السنة كانوا أيضًا من عائلات ذات أصل شيعي.

إن النسبة الضئيلة من مُتشيعي السنة، الذين ادعوا أنهم تشيعوا بعد حرب لبنان عام 2006م، ذكرها أن ذلك كان منهم "بدافع الحب لحزب الله، وإعجابًا بشخصية زعيمه حسن نصر الله".

يرى مثقفون سوريون أن هذه الصورة ترمز للوطنية، وليس لها مشاعر دينية طائفية؛ لأن "حسن نصر الله" أصبح رمزاً وطنياً أكثر منه رمزاً دينياً، حسب تعبيتهم.

نتائج هذه الدراسة الميدانية:

خلصت هذه الدراسة الميدانية إلى أربع نتائج، ولعل أهمها النتيجة الرابعة، التي قد تكون مقلقة للنظام:

1- معظم حالات التشيع قديماً وحديثاً كانت بين الطوائف التي لها جذور شيعية تقليدية (إسماعيليون، علويون)، وليس بين السنة.

2- انخفاض معدل التشيع بين السنة يشير إلى غياب أي نشاط تبشيري (تشيعي) في صفوفهم، ولاسيما إذا ما أخذنا بالحسبان أن بعض المُتشيعين من السنة ينتمون في حقيقتهم إلى أسر ذات أصول شيعية، اختارت (التسنن) مع مرور الوقت، ثم عادت إلى التشيع ثانية.

3- انخفاض نسبة التشيع لتحقيق مكاسب اقتصادية أو مالية؛ لدرجة أن فكرة (التشيع لأسباب نفعية) يمكن استبعادها كنمط سائد.

ملاحظة:

هذا الاستنتاج قد لا يعكس واقع كل الذين تشيعوا في سوريا، حيث تشير دراسات أخرى إلى أن نسبة كبيرة من المُتشيعين

الجدد قد تشييعوا لأسباب مالية.

4 إذا استمر المعدل الحالي للتسيع بين الإسماعيليين، و العلوبيين على وجه الخصوص؛ فإن الإسماعيليين سينقرضون في سوريا في غضون 10 سنوات، والعلوبيون خلال 25 سنة.

لقد مضى على هذه الدراسة التي تنبأت بانقراض العلوبيين في سوريا خلال 25 سنة، (7) سنوات، ما يعني أن المدة المتبقية حسب الدراسة لا تزيد على 18 عاماً، علماً أن الدراسة ربطت هذا الانقراض ببقاء التسيع على معدلاته، فكيف إذا عرفنا أن حضور الشيعة قد تعزز بعيد اندلاع الثورة قبل حوالي 3 سنوات، حيث تدفقتآلاف من غالة الشيعة والمتشييعين المسلمين (إيرانيين، و العراقيين، ولبنانيين، و يمنيين، و باكستانيين، وأفغان هزار، و حتى أفارقة).

لاشك أن مثل هذا الحضور الشيعي المكثف، والمسلح، من شأنه تقليص الحضور العلوي، والتسرع بـ"انقراض العلوبيين"، عبر إقناع مزيد من علوي سوريا للالتحاق بصفوف المتشييعين.

إن لم يكن "إعجاباً وتقديراً" لما يقدمه الشيعة من "خدمات"؛ فعلى الأقل ليضمن العلوبيون المتشييعون حمايتهم من آية تداعيات مستقبلية بعد سقوط النظام الطائفي، ولا سيما أن إيران الصاعدة كقوة كبرى في الإقليم، نصبت نفسها "حامية للشيعة" في العالم كله، وهي تخضع علاقاتها (توترة أو تقاربًا) مع الدول إلى مقياس وضع الشيعة فيها.

شخصيات، وعوائل متشيعة:

هناك شخصيات مهمة قد لا يعرف كثير من السوريين انتمامها الطائفي، قد وصلت إلى مناصب مهمة في السلطة، من بينهم: مهدي دخل الله، وزير الإعلام الأسبق، و آخر سفير للنظام في السعودية، و صائب نحاس، رجل الأعمال البارز، و صاحب شركة نحاس تورز للنقل بين المحافظات.

لقد مثلَّ تعين "دخل الله" الشيعي كسرًا لاحتياك النصاريين منصب وزير الإعلام لعدة عقود؛ ما يعني أن هذا النظام لم يخرج من دائرة الطائفية إلاً قليلاً عندما عين "دخل الله"، وهو ما يعزز الشكوك والأقاويل التي تثار حول تسييع وزير إعلام النظام الحالي "عمران الزعني"، ولا سيما أنه غير مؤهل لتسلم هذا المنصب بالذات، هذا فضلاً على اتهامه بالفساد عندما كان مديرًا لمكتب رئيس الوزراء المنتظر محمود الزعني.

ولا يبدو هذا مستبعداً في ظل ما كشفته تحقيقات رسمية حول مقتل "محمد ضرار جمو" رئيس الرابطة السورية للمغتربين، حيث تبين من شهادة زوجته أنه كان مُتشيعاً، خلافاً لما كان يعتقد الكثيرون من أنه سني.

وهناك أيضًا عائلات سورية عريقة قليل من الناس من يعرف انتمامها المذهبي، مثل: نظام، ومرتضى (منهم د. هاني محسن مرتضى: رئيس جامعة دمشق)، وبيضون، والروماني (ومنهم الممثل الشهير هاني الروماني)، والعطار (منهم نجاح العطار: نائبة رئيس الجمهورية لسنوات عدة، و وزيرة الثقافة لسنوات عديدة من قبل، وشقيقة الأستاذ عصام العطار: الداعية الإسلامي المعروف، المقيم في ألمانيا)، وقصاب حسن (منهم المحامي الشهير وصاحب البرنامج الإذاعي الشهير: نجاة قصاب حسن)، ولحام (منهم الممثل المعروف: دريد لحام، المعروف بغوار الطوشة)، وبختيار، أو إختيار(منهم رئيس مكتب الأمن القومي: هشام بختيار، الذي قتل في تفجير خلية الأزمة).

لقد قام بختيار هذا بزرع دعاة التسيع في وزارة التعليم العالي، فعين الدكتور هاني مرتضى (الشيعي) رئيس جامعة دمشق الأسبق، وزيراً للتعليم العالي، الذي عين بدوره الدكتور عبد الرزاق شيخ عيسى (الشيعي) أميناً لجامعة دمشق، ثم عين الدكتور عباس صندوق (الشيعي).

مراجعة الشيعة في سوريا:

لا يتبع الشيعة في سوريا مرجعاً واحداً، فمنهم من يتبع "علي السistani" في النجف بالعراق. و منهم "علي خامنئي"، المرشد

الإيراني، وآخرون (كانوا) يتبعون محمد حسين فضل الله في لبنان، الذي كان على قيد الحياة في عام 2007م.

حزب البعث، والتشيع:

انتهج حزب البعث سياسات تهدف إلى إضفاء الشرعية على العقيدة العلوية، التي كان لها دور بارز في صياغة سياسة الحكومة السورية تجاه الشيعة، وكان أحد أبرز نتائج هيمنة العلويين السياسية، هو إيلاء دمشق اهتماماً شديداً لعلاقاتها مع إيران ولبنان، حيث كانت العلاقات مع الأخيرة تتعزز بفضل العلاقات الشخصية لأركان نظام الأسد مع زعماء لبنان الشيعة.

مصير من يقف في وجه التشيع:

إن الذين يبدون معارضه للنشاطات الدينية والسياسية التي تقوم بها المنظمات الإيرانية في سوريا، ولاسيما في محافظة الرقة، يتعرضون للاعتقال من قبل قوات الأمن، حيث يواجهون اتهامات جاهزة بأنهم من "الوهابيين" أو "السلفيين الأصوليين".

وإنه لمن اللافت للنظر أن تكون تهمة "وهابي" ، أو"سلفي" لمن كان يعارض التشيع والتندد الإيراني، أن تكون هي نفس التهمة التي سارع النظام لإطلاقها على الملايين من الشعب السوري، عندما قرروا النزول الشارع والجهر بمعارضته، في آذار 2011م.

في رد فعل على الورطة المتزايدة للتشيع، وعلى عدم اكتتراث النظام في دمشق بذلك، أطلق الداعية السعودي البارز سلمان العودة، تحذيراً في نهايات 2006م، واصفاً التندد الشيعي في أوساط السنة بأنه (لعب بالنار).

وجاءت تحذيراته على أثر زيادة نشاط التشيع في سوريا، وقيام الإيرانيين ببناء ضريحين، الأول على ما يُعد قبراً للصحابي عمار بن ياسر، والثاني على قبر التابعي أبيس القرني، وكلاهما في محافظة الرقة.

لقد انبرى عدد من الشخصيات الشيعية، و المتشيعة للرد على "العوده" ، فنفى اثنان منهم (هما: عبد الله نظام، ونبيل الحلباوي)، وجود أية "حملة تشيع" بين السنة، وطالبوها من يدعى خلاف ذلك بأدلة، وكذلك نفى رجل دين نصيري بارز (ذو الفقار فضل غزال) أي نشاط لتحويل العلويين إلى التشيع.

وأرسل المتشيع د. عبد الله نظام، المشرف على المؤسسات والمزارع الشيعية في سوريا، والمدرس في حوزة السيدة زينب، رسالة توبیخ إلى سلمان العودة قال فيها: "تمنی أن يريح العودة نفسه وذهنه؛ فليس هناك خطر على العقيدة السنیة هنا، ونحن نعارض الأشخاص الذين يبيعون دینهم".

وهناك شخصيات سورية سنية شهيرة اتهمت المستشارية الثقافية الإيرانية في دمشق بممارسة أنشطة لا تتفق مع أهدافها الرسمية المعلنة، وأنها تعزز جهود التشيع السورية.

يذكر أنه في مدينة داريا القريبة من دمشق، بدأ الإيرانيون في إنشاء مركز شيعي واسع، تحت اسم مقام السيدة سكينة، وزار مسؤولون إيرانيون بارزون الموقع للتعبير عن دعمهم لهذا المشروع، وفي مقدمتهم الرئيس الإيراني محمود أحمدی نجاد، الذي خط رحاله في الموقع خلال زيارة له إلى سوريا مطلع 2006م.

ولما كان سكان المدينة على بينة بما تبيته إيران لمدينتهم، احتجوا لدى رئيس البلدية الذي كان يؤيد وجهة نظرهم، ولكن النظام وأجهزته الأمنية، قرروا الرد على "الدارانيين" بحسم، فتم عزل رئيس البلدية المتعاطف معهم، وعيّن آخر بدلاً له.

ولغاية مقصودة، حرص بشار على التقاط صورة له أمام لافتة تشير إلى "مقام السيدة سكينة"، خلال جولة نادرة له على حواجز قواته في داريا، نُشرت صورها في الأول من آب 2013م.

انتشار التشيع في المحافظات السورية:

1- دير الزور:

تعزى موجة التشيع في منطقة دير الزور إلى المُتشيعين من بلدة حطلة، حيث اعتنق (10%) من سكان البلدة البالغين 30 ألف نسمة المذهب الشيعي، وبدأ الأمر مع "عمر الحمادي"، وهو رقيب أول في الجيش، خدم في غرب وجنوب سوريا، تشيّع في عام 1979 م عندما كان في درعا، ثم أقنع "الحمادي" ابن عمه وصهره "يسين معيوف" بالتشيع، وكانا المتشيعين الوحدين في تلك المنطقة.

في عام 1982 م دعت جمعية "المرتضى"، التي أسسها جميل الأسد، وجاءه وشيوخ العشائر السورية إلى مقر الجمعية في القرداحة، وطلبت تعاونهم مع أنشطتها الخاصة بالتشيع، وعُين "يسين معيوف" رئيساً لفرع الجمعية في حطلة. وقبل حل جمعية المرتضى كان ياسين معيوف قد تواصل مع إيران، وأصبح واحداً من "الطلاب" المبعوثين إليها، واستمر "معيوف" وأخرون -من بينهم إبراهيم الساير-، في تلقي الأموال من المستشارية الثقافية الإيرانية، ومن حوزة السيدة زينب، ومن عدد من التجار الشيعة في دول الخليج.

وبهذا فليست طهران المصدر الوحيد لـ"المال الشيعي" في دير الزور، فهناك شيعي من منطقة الخليج كان يتربّد شهرياً إلى دير الزور، حاملاً معه أموالاً من شيعة الخليج، مع وجود احتمال قوي بأن الرجل كان يعمل بالتعاون مع المستشارية، ويعطي هذا الشيعي المال لـ"معيوف" وـ"الرجا" ويحدد لهما كيفية التوزيع على كل المتشيعين، يقال إن المبلغ المعتمد صرفه هو 5 آلاف ليرة شهرياً لكل متّشيّع.

ويعدّ هذا المبلغ ذا قيمة في عام 2009 م، لأسرة ريفية، فكان يساوي أكثر من 100 دولار، وكانت سورية وقتها لا تزال تنعم بـ"نعمّة" رخص المعيشة بشكل عام.

هناك عددٌ من المحسوبين على المثقفين في منطقة دير الزور كانوا ينشطون أيضاً في دعم حملة التشيع، من هؤلاء "أمير شبيب"، صاحب مكتبة القرآن الكريم الواقعة في ساحة دير الزور الرئيسة، وـ"عبد الله حمدان"، الذي تشيّع والده أولاً، وتبعه هو في عام 1990 م، وترتبطه صلة قرابة بالمتّشيّع ياسين معيوف.

وكان "حمدان" يبيع الكتب على جسر الفرات بالقرب من مسجد السرايا، وقيل إنه كان يعبر كتب الشيعة، ولاسيما للنساء والفتيات، مثل كتاب محمد جواد مغنیة، "الاثنا عشرية وأهل البيت"، والملاحظ أنه كان يبيع كتاباً أخرى؛ للتمويل على نشاطه، وجذب مزيد من الزبائن.

قام هؤلاء المتشيّعون ببناء ما لا يقل عن 6 حسينيات في سنة 2009 م في بلدة حطلة والقرى المجاورة لها، فضلاً على عدد آخر في القرى المجاورة، وكان يتم شراء الأرض التي تبني عليها الحسينية بمبالغ باهظة تحفيزاً لأصحابها.

وكانت مثل هذه الصفقات تُعقد حتى في المناطق التي لا يوجد فيها متشيّعون، وذلك طمعاً بالحصول على موطن قدم فيها؛ تحسباً لأية نشاطات مستقبلية لإيران فيها. فكان يتم شراء الأرض بمبلغ مليون ليرة (20 ألف دولار) للدونم الواحد (ألف متر مربع)؛ على الرغم من أن سعره في الواقع لا يزيد على 50 ألف ليرة.

لقد جنّد المتشيّعون في "حطلة" أنفسهم كغيرهم من التجمعات الشيعية ليكونوا خنجرًا في ظهر الثوار ومقاتلي الجيش الحر، وقد سبّب غدرهم المتكرر بشن حملة على البلدة، قتل فيها 60 شبيحاً، الأمر الذي سماه النظام "مجرّة" وبعث رسالة خاصة إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن، مطالباً بالتحرك ضدّ من "ارتکبواها".

2. الحسكة:

تشير المصادر إلى ازدياد نشاط العاملين في حقل التشيع في محافظة الحسكة التي تسكنها نسبة كبيرة من الأكراد. لقد تم توزيع منشورات تدعو الناس إلى التشيع، وتستهدف بشكل رئيسي الشباب والعاطلين عن العمل، و وزعت في المحلات التجارية بمدينة، واحتوت على وعد براتب شهري يتراوح بين 5-10 ألف ليرة (من 100 إلى 200 دولار وفق سعر الصرف حينها).

وكان العاملون في الدعوة للتشيع يستغلون الفقر في المنطقة، ويمارسون نشاطهم بعلم السلطات، ووفقاً لبعض المصادر، فإن من يرعى نشاط التشيع في الحسكة هم الإيرانيون، وتحديداً ملحقهم الثقافي في حلب (عبد الصاحب الموسوي: يتحدث العربية بطلاقة)، بالتعاون مع أجهزة استخبارات النظام.

لقد قام هؤلاء بشراء الأراضي لبناء حسينيات، وكانت آخر صفقة لهم في مدينة القامشلي (ذات الأغلبية الكردية السنّية)، كما تم بناء حسينية "آل البيت" في حي النشوة، بتمويل من رجل أعمال شيعي من الكويت.

3. حمص:

يوجد في ريف حمص أكثر من عشرين قرية شيعية، منها: (الحميدية، وأم العمد، والثابتية، والمختارية، والغور، وزيتا، والديابية، والمزرعة، والزرزورية، والدلبوz) هذا فضلاً على القرى، والأحياء العلوية.

إلا المستهدف في التشيع هم أبناء السنة في المدينة على وجه الخصوص، فتم بناء مسجد شيعي، وعدد من الحسينيات تُسرّر القائمون على الأمر عليها خوفاً من رد الفعل الذي ستواجههم من أهال حمص الذين لديهم حساسية مفرطة من أمر العلوبيين الذين استولوا على كرومهم وأراضيهم وحولوها إلى أحياط لهم مع مرور الوقت، ولا سيما بعد مجيء حافظ الأسد إلى السلطة. و منها حسينية حي البياضة التي وقعت تحت أيدي الجيش الحر، و تم حرقها مع ما فيها من مكتبات ضخمة للكتب الشيعية، في 14/4/2012م.

هناك منطقة فيها اشتهرت بالنشاط الشيعي، لدرجة أنها كانت تسمى "حي إيران".

4. طرطوس:

نشط الشيعة الإيرانيون والعراقيون في الساحل السوري بشكل لافت للنظر، علمًا أنه قد سبق لرمز التشيع "جميل الأسد" أن تمدد هناك، بدعم وتشجيع من أخيه حافظ.

ويشار هنا إلى أن واحدة من ثمرات التشيع الباهرة في الساحل، يمثلها مدير أوقاف طرطوس حينها، "محمد عبد الستار السيد"، الذي دفع علناً عن العقيدة الشيعية، في الصفحة الأولى من مجلة "المنبر" الإيرانية، وهي مجلة مكرسة للمتشيعين. ويبدو أن هذا الموقف من "السيد" - هو ما أهله لنيل رضا بشار شخصياً، فرقاًه مباشرة من منصب "مدير أوقاف طرطوس" إلى معاون لوزير الأوقاف في 2002م، ثم وزيرًا للأوقاف سنة 2007م، وظل محظوظاً بهذه الحقيقة في أكثر من تغيير وزاري، و كان من الوزراء الذين جدد بشار ثقته فيهم خلال الأزمة.

لقد قام هذا الوزير (المُمالئ) بإضعاف التعليم الشرعي السنّي، ومنع استحداث ثانويات شرعية سنّية، ومنع قبول الطلاب الأجانب والعرب في أية مؤسسة تعليمية سورية، وطلب من الجهات الرسمية التضييق في منح الإقامات للقادمي منهم، ومنع التمويل الخارجي لهذه المؤسسات، وأعفى كبار القائمين على التعليم الديني من عملهم، مثل (الشيخ عبد الرزاق الحلبي، والشيخ ساربة الرفاعي، والشيخ صلاح كفتارو، و د. عبد الفتاح البزم، و د. حسام فرفور، و د. عبد السلام راجح). كما أوكل إلى الدكتور المُتشيع عبد الله نظام، المعروف بعلاقته بالسفارة الإيرانية، وعيّنها على كلية الشريعة في جامعة دمشق، أمر تنمية مناهج الثانويات الشرعية (السنّية) من الأمور التي لا يرضى عنها الشيعة.

5. اللاذقية:

شهد محافظة اللاذقية عمليات تشيع في ثمانينات القرن الماضي، بتحريض من جمعية "المرتضى" التي أسسها جميل الأسد إبان أحداث الإخوان المسلمين، عندما أراد النظام أن يخرج من حالة القطيعة مع المذهب الشيعي الذي يعدّ النصيريّين كفارًا، لمواجهة أهل السنة الذين يتهمونهم بالكفر أيضًا، حيث بنت هذه الجمعية قرابة 76 حسينية في المنطقة، وكان أكبرها في منطقة دمسرخو، بمساحة تعادل 6 آلاف متر مربع، وأصغرها تلك في قرية عين التينة، بمساحة 40 متراً مربعاً فقط.

لم تستخدم هذه الحسينيات في أول الأمر للدعوة للتشيع، بل كانت بمثابة أماكن لاجتماع المعارضين من أبناء الطائفة العلوية للحكومة، من أتباع رفعت، وجميل الأسد وابنه فواز، عقب الصراع الذي نشب بين حافظ وأخيه رفعت بعد مساعي حافظ لتوريث السلطة لابنه باسل؛ الأمر الذي أثار حفيظة رفعت وإخوته وأولادهم.

بعد موت حافظ الأسد، مكّن بشار طهران من كسب نفوذ متزايد في سوريا، ولاسيما بعد سقوط بغداد، فبدأ الإيرانيون إدارة شؤون الشيعة في اللاذقية بأنفسهم، وبدأ الأمر بتدشين هذه المرحلة الأخيرة من بناء "حوزة الرسول الأعظم" في حي الأزهري، على قطعة أرض تابعة للوقف السني، وعَيْنُ العرافي "أيمِن زيتون" ممثل الخامنئي في المنطقة، مديرًا لها، وبنت جمعية "المرتضى" (76) حسينية في منطقة اللاذقية، مساحة إحداها تتجاوز ستة آلاف متر مربع، كما بني مركز ثقافي في حي الزراعة، يعمل فيه أكثر من 300 عراقي ولبناني، كانت مهمتهم الأساسية استمالة الناس، وتقديم المغريات لهم كي يتبعوا.

يعدّ "أيمِن زيتون"، الذي كثيرًا ما تظهر صوره في الصحف اليومية، من أبرز الشخصيات الشيعية نفوذاً في اللاذقية، وهو صاحب كلمة مسموعة في كل التعيينات الإدارية في المدينة، وهو يعدّ المتشيعين علناً بالوظائف والقبول في الجامعات، وحتى بالزوجات، ويقوم بإرسال من يرغب في "الجهاد" منهم إلى جنوب لبنان، للالتحاق بصفوف مليشيا "حزب الله". لقد بلغ نفوذه حدًا جعل محافظ اللاذقية، وأمين حزب البعث (وهما أعلى مسؤولين في المحافظة)، لا يذهبان إلى أي مكان من دون مرافقة، يذكر أنه في اجتماع مغلق ذات مرة تباهى زيتون قائلاً: "الغرب يعتقد أننا سنهاجم من صيدا وصور، ولكننا سوف نفاجئهم من اللاذقية وطرطوس".

كان المسؤولون الإيرانيون يزورون محافظة اللاذقية بانتظام، وفي إحدى زيارات وزير الإسكان الإيراني للمنطقة، قدم 300 شقة جديدة إلى المتشيعين الجدد في اللاذقية، وقد زار رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام في إيران، هاشمي رفسنجاني المنطقة، ودعا السكان إلى زيارة إيران.

وتبين آثار النفوذ الإيراني أيضًا على الجامعة التي تضمها المحافظة؛ ومن ذلك قيام رئيس جامعة تشرين في آذار 2007م، بتخصيص مبنيين في الحرم الجامعي لإيران، لغرض إنشاء كلية شيعية ضمن الجامعة.

6. إدلب:

يوصف العاملون في التشيع على مستوى محافظة إدلب بأنهم نشيطون جداً، حتى إن بعضهم يقدم مبالغ نقدية تقدر بـ 2500 ليرة، فقط لمن يسمى ابنه الحسن أو الحسين!

شهدت المحافظة في نهاية 2006م، افتتاح كلية في بلدة الفوعة الشيعية، وكان منهاجها إيرانيًا خالصًا، وقدمت العديد من الحوافز للمستهدفين بالتشيع.

تعد قرية زرزور، القرية من الحدود التركية في منطقة جسر الشغور، من أبرز مراكز النشاط الشيعي في المحافظة، شهدت أول حالة تشيع في عام 1945م، على يد المتشيع محمد ناجي غفري، الذي حافظت السفارة الإيرانية على اتصال منتظم معه، وساعدته في بناء حسينية كبيرة، هي أقرب ما تكون إلى مجمع شيعي بعموم منطقة الجسر، وقد تم الدخول، و السيطرة عليها

من لدن الثوار منذ وقت مبكر من عمر الثورة، في: 12 / 12 / 2012 م.

في سنة 2007م أصبح ربع سكان "ززور" من الشيعة، وقد تشييعت أسر بأكملها، منهم: "طرمش، المنجد، السيد"، وانتشرت عملية التشييع أيضاً إلى بعض القرى المجاورة، ولكن بأعداد أقل.

7 درعا:

يوجد نسبة من الشيعة في بلدات من درعا، مثل بصرى الشام، التي سكنها الشيعة منذ قرن من الزمان، ولكن هؤلاء الشيعة كانوا يتظاهرون أنهم سنة، وكانت هذه حالي حتى عام 1997م.

غير أن اللافت للنظر في أمر التشييع في درعا هو ظاهرة (زيدان غزالة) من بلدة قرقا: ابن عم اللواء رستم غزالة، الرئيس السابق للاستخبارات السورية في لبنان، خلفاً لغازي كنعان، وزير الداخلية المنتهية، ابن طائفه بشار، لقد قربه بشار ورقاه تباعاً حتى عينه رئيساً لجهاز الأمن السياسي).

لقد تخرج في كلية الشريعة: جامعة دمشق، وانضم إلى جماعة الإخوان المسلمين في أول الأمر، ثم تركها إلى حركة "المرتضى"، ثم تشييع علناً، وببدأ الدعوة للمذهب الشيعي، حيث كان يتلقى دعماً مالياً من إيران، ويقدم إغراءات للشباب، معتمداً على دفع "الكافش" وتقديم الأثاث والكتب والملابس.

شجع "زيدان غزالة" الزواج المؤقت (المعروف بزواج المتعة)، مقدماً فتيات صغيرات للرجال الباحثين عن تلبية احتياجاتهم الجنسية، من دون أن يرتبطوا برباط الزواج المعروف.

من كان ينكر على "زيدان" نشاطه هذا؛ يجد نفسه في السجن، أو مهدداً من قبل قوات أمن النظام، التي كان "زيدان" على صلة وثيقة بها، مستندًا في ذلك على نفوذ ابن عمه اللواء رستم.

كان زيدان إمام، وخطيب مسجد علي بن أبي طالب في حي الراحلة بمدينة درعا، في عام 2007م، وهو مسجد سُني استولى عليه زيدان قسراً.

هناك جالية شيعية عراقية في محافظة درعا، كانت قد استقرت فيها قبل سقوط بغداد في عام 2003م، واستمرت في النمو، حتى بات هناك شارع كامل في مدينة درعا يحتله التجار الشيعة العراقيون، بنى هؤلاء التجار حسينية، وألحقوا بها مرافق عدة، مثل روضة الأطفال، وغرفة للحاسوب ومكتبة للأطفال.

ومنهم شخص اسمه أبو جعفر العراقي، له دور بارز في نشر التشييع في درعا، ولاسيما بين الأثرياء والأطباء، الذين كان يعرض عليهم رحلات مجانية إلى إيران، كما كان يغدق الأموال والهدايا على الطلاب والفقare.

وكان يحضر مناسبات يتم فيها لعن الصحابة الكرام، واتهام زوجة النبي عائشة رضي الله عنها بالفاحشة (التي نزهها عنها القرآن الكريم)، كما قام بتوزيع مئات من كتب الشيعة في أنحاء محافظة درعا جميعها، وأصبح خطيباً في مسجد الرسول الأعظم الذي شيد مؤخراً في عام 2007م في درعا.

بعد بناء الحسينيات مؤشراً على تزايد التشييع في محافظة درعا، فضلاً على كونه أداء لتشييع مزيد من السوريين، فبناء أول حسينية في مدينة درعا كان في عام 1976م، بالقرب من المطار، لتكون إلى جانب اثنين من المساجد السننية.

وكان رجالات الشيعة (إيرانيون وعراقيون ولبنانيون وحتى سوريون) يقومون بزيارة هذه الحسينية، وفي مقدمتهم الدكتور المُتشيّع عبد الله نظام (قيادي قوي) يشارك في كل محافل الشيعة في سوريا.

وهناك حسينيات في بلدات أخرى من درعا، يتراوح سكانها بين 5آلاف و33 ألف نسمة، يذكر أنه في بعض المناطق، مثل بلدة المليحة الغربية، أدى بناء الحسينية إلى انعزal الشيعة عن السنة، حتى إن الشيعة في هذه البلدة ميزوا حوازيتهم وورشهم بأسماء شيعية.

حدثت عمليات تشيع في عدد من البلدات والقرى التي لا توجد فيها حسینیات؛ كبلدة الصورة، التي تشارك عائلة شیعیة منها بنشاط واسع في الدعوة للتشیع، وتتوفر "حوافر" للشباب حتى يتشارعوا.

8. حلب:

ينشط التشیع في حلب، بفضل عمل عدد من سكانها البارزين في ذلك، وبعد "مسجد النقطة" قرب جبل جوشن المركز الرئیس لذلك في المدینة. و هناك في الريف بلدان شیعیتان، هما نُبلُ والزهراء، يُعدُّ سکانهما من النشطاء في الشؤون الشیعیة.

يسیطر الشیعیة في حلب على مستشفی ال�لال الأحمر، و هو تابع للقنصلیة الإیرانیة فیها، التي يرأسها عبد الصاحب عبد الواحد الموسوی، و لها نشاط كبير في نشر التشیع بين طلاب الجامعات، و هي واقعة قرب حرم الجامعة، و تقدم وجبات للطلبة على أمل جذبهم للتشیع.

عادة ما یقيم الشیعیة في حلب احتفالات كبيرة في المناسبات الدينیة، کـ"المولد النبوی"، و میلاد "الإمام جعفر الصادق". یذكر أنه في احتفال "أسبوع الوحدة الإسلامیة" في: 30 أيار / مايو 2002م، و بحضور القنصل الإیرانی، الذي أقيم في "مسجد النقطة"، حضر قرابة 5 آلاف من الرجال والنساء الشیعیة، معظمهم من "نبل" و "الزهراء"، ولم یخل الحضور من بعض السنّة، وضعت شاشة كبيرة ومکبرات صوت وأجهزة عرض أعدت بعنایة فائقة، وغطیت الجدران بصور كبيرة تحتوي على زخارف ومدائیح للنبي الکریم صلی الله علیه وسلم وأهل بيته، وتم افتتاح الاحتفال بتلاوة بعض الآیات القرآنیة. و كان حضور حزب الله کبیراً في الاحتفال، فقد وضعت صورة "حسن نصر الله" بجانب صور "الخمینی" و "خامنئی". و مثّل الحزب نائب زعیمه، المدعو "نعمیم قاسم"، الذي تحدث عن "إنجازات حزب الله في جنوب لبنان". كما قرأ الشاعر الشیعی عبد الکریم تقی، قصيدة يمدح فيها التشیع والمتشارعین.

وفي نهاية الاحتفال تحدث الملحق الثقافی الإیرانی، ذاکراً عدداً من الكتب المفیدة لتعزیز إیمان الناس، مثل "نهج البلاغة" و "الصحیفة السجارية".

وكان أهم حدث في ذلك الاحتفال ترتیب "زواج جماعی"، حيث عُقد قِرانُ 60 زواج على نفقة السفاره الإیرانیة، كما أعلن مقدم الحفل، و وعد الملحق الثقافی كل عریس بالحصول على هدية من السفاره الإیرانیة، و مکتب خامنئی.

(*) : من مواليد قرية الجشنَّ في الجلیل الأعلى بفلسطین، أکادیمی، نذر جل بحوثه للتعقیم فی واقع الشیعیة والمتشارعین: عقائیداً واجتماعیاً وأدبیاً، حتی غدا واحداً من المراجع الدولیة المعتمدة فی هذا الباب، له مؤلفات و دراسات عدّة فی ذلك، من أهمها: "معجم مصطلحات الشیعیة"، "وفاة فاطمة الزهراء علیها السلام"، "من شعراء الشیعیة فی جبل عامل": دراسة وتحقيق وشرح ، "ظاهره التشیع فی السودان"، و"دور الشیعیة فی سوريا، الذي نشر فی حزیران، سنة 2009م، فی دورية "کرنت تریندنس" (انجاهات معاصرة)، التي بصدرها (هدسون إنستیتوت) الأمریکي.

نشر ما يزيد على 60 دراسة، و مقالاً فی مجلات عالمیة محکّمة، و 10 كتب صدرت عن دور نشر عالمیة، حصل علی شهادة الدكتوراه عام 2000م عن أطروحة "مقتل الحسین بن علی فی الأدب الشیعی" .

المصادر: